نحو أمن لغوي

مشروع لتمكين اللغة العربية

أ. د. محمد حسَّان الطيّان

الجامعة العربية المفتوحة - الكويت

ملخَّص

يقدِّم هذا البحث مقترحاتٍ للنهوض بالعربية، وتمكينها، وحمايتها، وإعادة المنزلة التي سلِبت منها، مبيّنا أهميتها في حياتنا، ومكانتها التي تنبغي لها، والأخطار المحدقة بها، والعداء المستحكم لها، وما أصابها من ضعف وهوانٍ وإهمال على أيدي أهلها.

وفيما يأتي عناوين هذه المقترحات:

- بثّ الوعي اللغوي.
- إطلاق قانون حماية العربية.
- إعادة التعريب (للوزارات والمصارف والجامعات والمؤسَّسات).
- إصلاح لغة الإعلام والإعلان وما شاكلها.
- الارتقاء بتعليم العربية.
- الإفادة من الصلة الوشيجة بين القرآن والعربية، ونشرها في أوسع نطاق ممكن.
- إنشاء مؤسَّسات تُعنى بالعربية، وطرح مشاريع علمية تخدمها.
- جعل إتقان اللغة العربية مطلبًا أساسيًّا للالتحاق بالجامعات، وبالدراسات العليا (توفل عربي على غرار توفل اللغة الإنجليزية).

الكلمات المفتاحية: الأمن اللغوي، الوعي اللغوي، حماية العربية، التعريب.

Dilin Muhafazası Yönünde Bir Adım: Arapçayı Yerleştirme Projesi
Prof. Dr. M. Hassân et-Tayyân
Özet

Bu araştırma, Arapça'nın geliştirilmesi, sağlamlaştırılması, himayesi ve i'âde-i itibarı (hak ettiği konuma tekrar getirilmesi) ile ilgili bazı öneriler sunmaktadır. Öte yandan Arapça'nın hayatımızdaki önemine, olması gereken konumuna, Arapça'yı çevreleyen tehlikelere, kendisine yapılan husumete ve ehlinin eliyle uğradığı zayıflığa ve ihmalkârlığa değinmektedir.

Önerilerin başlıkları:

- Dil bilincinin yaygınlaştırılması
- Arapça'yı koruma kanununun yürürlüğe girmesi
- Kavramların yeniden Arapçalaştırılması (Bakanlıklar, bankalar, üniversiteler ve kurumlara yönelik)
- Yayın ve basım dilinin iyileştirilmesi
- Arapça öğretiminin geliştirilmesi
- Kur'ân-ı Kerîm ile Arapça arasında var olan sıkı ilişkiden istifade edilmesi ve bu faydanın olabildiğince geniş bir çerçevede yaygınlaştırılması
- Arapça dil enstitülerin kurulması ve Arapça'ya hizmet eden bilimsel projelerin sunulması
- Üniversiteye ve lisansüstü eğitime giriş sınavlarında Arapça'nın temel şart olarak koşulması (İngilizce TOEFL benzeri bir Arapça TOEFL yapılması)

Anahtar Kelimeler: Dilin muhafazası, Dil bilinci, Arapça'nın korunması, Arapçalaştırma

Towards Linguistic Safety
Prof. Dr. M. Hassan Al-Tayyan
Abstract

This research provides proposals on how to enhance and protect the entity of Arabic, and restore the dignity which it once enjoyed. It also sheds light on the importance and the role of Arabic in everyday life in addition to the danger threatening it and the open hostility towards it. The study also shows the carelessness, heedlessness and thoughtlessness Arabic received at the hands of the Arabs themselves. The following list states some of these proposals:

- Promoting linguistic awareness among the public.
- Introducing legislation to protect the Arabic Language.
- Pursuing a policy of Arabization in ministries, banks, universities and other institutions.
- Rectifying the language of media and other public forms of advertisements.
- Improving Arabic language education methods.
- Highlighting and demonstrating the close relationship between the Quran and Arabic.
- Founding some Arabic-related institutions whose role is to attend to the Arabic language and propose some projects in its favor.
- Making the mastery of Arabic and the passing of an Arabic test, similar to TOEFL, a prerequisite for students willing to pursue university and postgraduate studies.

Keywords: Language Awareness, Arabic Protection, Arabization.

تمهيد في أهمية العربية ومكانتها والأخطار المحدقة بها

تتبوّأ اللغة مقامًا ساميًا بين النعم التي أنعم الخالق بها على خلقه، إذ تجمع الشرائع السماوية على أن أوَّل ما تعلمه آدم عليه السلام هو اللغة، وقد ذكر ربُّنا سبحانه تعليمَه الأسماء لآدم بعد ذكر خلقه مباشرة، فقال جل من قائل:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

كما قرن جلَّ وعلا نعمة البيان إلى نعمة الخلق حين عدَّد آلاءه في سورة الرحمن:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

ولا غرو فاللغة أداة التواصل والتعارف، وهي وعاء الفكر والعلم، ووسيلة المعرفة والثقافة، بها يعبّر الإنسان عن مكنوناته، وبواسطتها يتواصل الناس فيما بينهم ويتعارفون، وعليها تبنى المجتمعات وبها تتميَّز الأمم وفيها تؤسَّس الحضارات، و«**هي مفتاح عبقرية الأمة**» كما يقول ستاندال.[1]

والعربية واحدة من أعرق اللغات الإنسانية، وأقدمها، وأعظمها، وأغناها، وأقدسها. نزل بها القرآن فتحوَّلت من لسان قوم إلى لسان أمّة، ومن لغة محلية إلى لغة عالمية، ومن طور البداوة إلى طور الحضارة، ومن لغة شعر وبيان إلى لغة علم ومعرفة وتجويد وإحسان.

ثم أناخ الدهر عليها بكلكله، وأتى عليها حينٌ منه أضعفها بعد قوَّة، وشتَّتها بعد وحدة، وأذلَّها بعد عزّة، «**وكم عزّ أقوام بعزِّ لغاتِ**».[2]

وهي تعيش اليوم معركة حقيقية، يحاول فيها أعداؤها أن ينالوا منها كلَّ النَّيل،

---

١ العرب والخيار اللغوي لضبيب ٩٥.

٢ شطر من بيت لحافظ إبراهيم من قصيدته الرائعة على لسان العربية:

أرى لِرِجالِ الغَرْبِ عِزّاً وَمَنعَةً وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ

وأن يجعلوها أثرًا بعد عين، وظلًا بعد بناء وإحكام. فلا يدعون نقيصةً إلا ألصقوها بها، ولا يذكرون نعتًا سيّئًا إلا نعتوها به، ولا يوفّرون تهمةً شنيعة إلا اتهموها بها.

ويستجيب لهؤلاء المتربّصين بنا وبلغتنا بعض أبناء اللغة، المتنكّرين لها، الجاحدين فضلها، المبهورين بكلِّ غريب، والذاهلين عن كلِّ أصل.

ولقد أصابها من جحود أهلها وانصرافهم عنها وافتئاتهم عليها ما جعل أستاذنا الدكتور شكري فيصل رحمه الله يقول: «لعلّه لم يحمل قومٌ على لغة كان لها فضلُ وجودِهم الحضاري ومكانتهم الإنسانية على نحو ما حمل ناسٌ منَّا على لغتهم.. اتهموها بالصعوبة وحمّلوها من ذلك ما هو حقّ في أقلّ الأحايين وما هو باطل في أكثر الأحايين. ورموها بالخروج على المنطق وأنها لا تنقاد قواعدها إليه. وقذفوا خطّها وحروفها بل دعوا إلى تبديلها، وبذلوا الكثير من القول والعمل. وأخرجوها من نطاق الطبيعة التي تنتظم اللغات كلّها حين زعموا أنك في اللغات الأخرى تقرأ لتفهم بينما نحن في العربية نفهم لنقرأ. وقالوا في نحوها وصرفها ما لم يقله مالك في الخمر! وتحدّثوا عن عجزها عن متابعة التقدّم الحضاري وكأنها لم تكن اللغة التي وسعت حقبًا من الدهر العلوم والمعارف كلّها... وكأنها لم تكن اللغة التي أنشأت حضارةً وأنبتت ثقافةً وكتبت آلاف الكتب في كلّ ضروب الصنائع والفنون والعلوم».[١]

وتبدَّى هذا الجحود والنُّكران لدى عامَّة الناس بعزوفهم عن العربية وإهمال تعلّمها، والضعف فيها، واللحن في نطقها وكتابتها. وتبدَّى لدى الخاصَّة من المثقفين والإعلاميين والمحاضرين بانتهاكاتٍ لغويةٍ اتخذت مظاهر أربعة هي:

شيوع الأخطاء اللغوية والنحوية والأسلوبية.

طغيان العامّية.

فشوُّ المفردات الأجنبية في ثنايا الحديث والخطاب والمحاضرة.

١ تحت راية العربية للطيّان ٣٦٧.

ضعف بالغ في التعبير بها نطقًا وكتابةً وخطابةً ومحاضرةً وحديثًا.

أمام هذا كلّه لا بدّ من عمل يسهم في حفظ العربية، والنهوض بها، والتمكين لها، وإعادتها إلى مكانتها في النفوس والقلوب والعقول، واستنقاذ ما يمكن استنقاذه من الحفاظ على هوية الأمة وأصالتها وشعائرها.

وقد عقِدت لذلك مؤتمرات وندوات، وكتِبت في ذلك بحوث ومقالات، وألِّفت كتب وأفرِدت مجلات، وأسهم كلُّ غيور باقتراحات ومحاولات، وأرى الواجب يدعوني لأدلي بدلوي بين الدلاء، لعلَّه يسد ثغرةً، أو يملأ فراغًا، أو يسهم بما يمكن أن ينفع أو يجدي.

إنه مقترحٌ يدعو إلى تحقيق الأمن اللغوي ومشروعٌ يسعى للنهوض بالعربية، وفيما يأتي أهم ركائزه:

١: بثّ الوعي اللغوي

بات أمر اللغة والعناية بها والغيرة عليها محصورًا بفئةٍ من العاملين بها والمحبّين لها، لا يعدوهم إلى غيرهم من خواصِّ المثقفين ونخبة العلماء، بله عامَّةِ الناس وأوساطهم. مع أن العربية لغة كلّ عربي؛ بل كلّ مسلم.

فالعربية مفخرة من مفاخر العرب والإسلام، وحقيق بكل من انتمى إلى واحد منهما أو إلى كليهما أن يفخر بها، وأن يعتز بالانتماء إليها، وإلا ففي إسلامه شكٌّ، وفي عروبته ريبٌ؛ بل في إنسانيته دَخَلٌ ودَخَن.

ومن ثم وجب أن ننشر الوعي اللغوي بين صفوف الأمة، ونعلن للجميع أن الأمن اللغوي لا يقلُّ أهميّةً عن الأمن العسكري، أو الأمن القومي، أو الأمن الوطني، أو الأمن الغذائي، فللعربية في نفوسنا وقلوبنا وعقولنا ما للغات الأخرى عند أهلها وزيادة؛ بل إن حماية اللغة في تاريخنا لم يكن يقلّ شأنًا عن حماية الأرض –تلك التي كان الأجداد يسمونها البَيْضَة– وعن حماية الذات الجماعية حتى أوشكت اللغة أن تتماهى والهُوية، فما كان يتصوَّر للعروبة ولا للقومية ولا حتى للإسلام مفهومٌ

خارج حصون اللغة.[١]

وعلينا أن نعلم أن عزَّنا مرهون بعزِّ لغتنا، وأن وجودنا مرهون باستمرار لغتنا، وأن هويتنا لا يمكن أن تتحقَّق إلا بلغتنا. «كيف لا وهذه اللغة هي الرباط المتين الذي يشدُّ بعض أبنائها إلى بعض، ويصل مشرق هذه الأمة بمغربها، وحاضرها بمستقبلها..»[٢]

ورحم الله الرافعي إذ يقول:

«ما ذَلّت لغةُ شعبٍ إلا ذلّ، ولا انحطَّت إلا كان أمرُهُ في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هنا يفرِضُ الأجنبيُّ المستعمرُ لغتَه فرضًا على الأمةِ المستعمَرَة، ويركبهم بها ويُشعرهم عَظَمَته فيها، ويَستَلحِقُهُم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحدٍ:

أما الأولُ: فحبْسُ لغتهم في لغتِهِ سِجنًا مؤبَّدًا.

وأما الثاني: فالحكمُ على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا.

وأما الثالثُ: فتقييدُ مستقبلهم فى الأغلالِ التي يصنعُها، فأمرهم من بعدِها لأمرِهِ تَبَعٌ».[٣]

على أن الأمن اللغوي لا يقتصر على هذا؛ بل يتعدّاه إلى التنمية التي تسعى كلُّ دولة أن تبلغ فيها أقصى المستطاع، ولم يعرف تاريخ الأمم سابقًا أو لاحقًا أن أمة نهضت وبلغَتْ بغير لغتها، وهذا ما يؤكّده خبراء التنمية ومنظماتها، يقول د. علي القاسمي:

«وتعزو تقارير التنمية البشرية وتقارير التنمية الإنسانية التي أصدرتها الأمم المتحدة؛ تخلّفَ معظم البلدان العربية في العصر الحاضر إلى عدم عناية هذه البلدان بالتعليم وبالصحة. وإلى استمرارها في استخدام لغة أجنبية، وليس لغتها الوطنية في

١ الهوية العربية والأمن اللغوي، لعبد السلام المسدي ٢٥.

٢ في سبيل العربية لهيثم الخياط ٧.

٣ وحي القلم للرافعي ٢٧/٣.

التعليم العالي العلمي والتقني، وفي المؤسسات التجارية والمالية والاقتصادية؛ بل وحتى في بعض الدوائر الرسمية. فطلابنا لا يستطيعون استيعاب العلوم والتقنيات الحديثة؛ لأنهم يتعلمونها بلغة أجنبية فلا يتمكَّنون من إضافة مضامينها إلى منظومتهم المفهومية دون صعوبات. ولا يتمكَّنون من تبادل هذه المضامين وتنميتها والإبداع فيها بسرعة وسهولة. فالطالب العربي الذي يستمع لمحاضرة علمية باللغة الإنكليزية أو الفرنسية في بلاده يواجه ثلاث صعوبات في آن واحد: أولًا: تلقّي المعلومة باللغة الأجنبية، وثانيًا: ترجمتها في ذهنه إلى لغته الوطنية العربية، وثالثًا: فهمها لإضافتها إلى منظومته المفهومية. ولهذا فإنه يصعب علينا إيجاد مجتمع المعرفة القادر على إحداث التنمية البشرية. ولهذا كذلك فإن اللغة العربية من حيث توافرها على الشابكة (الإنترنت) أقلّ من لغات أخرى لا تتمتّع بما للغة العربية من عالمية وعراقة. فاللغة العربية من حيث وجودها على الشابكة تأتي بعد الكورية والفارسية والتركية والبرتغالية. لأن الطبيب العربي الذي تلقّى دراسته باللغة الإنكليزية أو الفرنسية لا يستطيع أن ينقل معرفته إلى الممرِّضة، والمريض، والمساعد التقني، وإلى عامة المتعلّمين عن طريق وسائل الاتصال السمعية البصرية، فهو لا يستطيع أن يُنشئ موقعًا له على الشابكة باللغة العربية لإفادة أبناء وطنه، وتبادل المعلومات بسرعة ويسر وتنميتها والإبداع فيها شرط من شروط تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية في البلاد.

لقد تمكّنت بلدان كثيرة كانت أكثر تخلّفًا من بلداننا العربية، في أواسط القرن الماضي، من تحقيق التنمية البشرية. فكوريا الجنوبية مثلًا كانت عام ١٩٦٠ أفقر دولة في آسيا وثالث أفقر دولة في العالم. أما اليوم فترتيبها السابع عشر في سلَّم التنمية البشرية الذي تصدره سنويًّا منظمة الأمم المتحدة، وهي سابع دولة صناعية في العالم. ويعود الفضل في ذلك إلى قيام الدولة الكورية بنشر تعليم ذي جودة على نفقتها لفائدة جميع أبنائها وباللغة الكورية، من رياض الأطفال إلى ما بعد الدكتوراه وفي البحوث العلمية. وكذلك الحال بالنسبة لإيران، فعندما قرَّرت الدولة سنة ١٩٧٩م استبدال الفارسية بالإنكليزية لغةً لتلقين العلوم والتقنيات، أخذ الطلاب يستوعبونها ويشتغلون بفهمٍ في علوم الذرة والنانو وغيرهما. وأصبحت إيران تخطو

خطوات حثيثة في التنمية البشرية.»[١]

إن بثَّ الوعي اللغوي يتطلَّب حملةً تُبَثُّ في كلّ مكان، في وسائل الإعلام والإعلان، والمدارس والجامعات، والمساجد والكنائس، والشوارع والطرقات، وفي الوزارات والمؤسَّسات الحكومية والخاصة... شعارها: «**لغتي وطني**» تبيّن أهمية اللغة، وأثرها، ودينيًا، وقوميًا، ووطنيًا، وإنسانيًا، وذاتيًا، وفرديًا، واجتماعيًا، هويةً، وانتماءً، وتنميةً، ووجودًا، وحياةً، وحضارةً...

بقي التنبيه على أمر في غاية الأهمية، وهو التبشير بالعربية، ونشر روائعها، وبثُّ بدائعها، وإظهار بيانها الساحر، وإيجازها الباهر، وثرائها النادر، وإذاعة طرائفها وظرائفها، ونوادرها وأوابدها، وشرائدها ونفائسها.

إن أمر الترغيب بالعربية لا يقلُّ أهمية عن أمر الترهيب بما يحدق بها من أخطار، وما يحاك لها من مؤامرات، فالعربية لغة الجمال والكمال.

إنها كما قال أمير الشعراء شوقي:

إن الذي ملأ اللغاتِ محاسنًا جعل الجمال وسرَّه في الضادِ[٢]

وأزيد فأقول:

لغةٌ بها نزلَ الكتابُ مفصَّلًا فسمَتْ بهِ عن سائرِ الأندادِ

٢: إطلاق قانون حماية العربية

كلّ أمر ذي بالٍ في حياتنا تنتظمه قوانين، وتحوطه لوائح تحميه وتنظّمه وتعاقِب من يتعدَّى حدوده، إلا اللغة العربية فإنها حمًى مستباح، لا قانون يحميها، ولا نظام

١ من حوار مع علي القاسمي، نشر في موقع (ضفة ثالثة) في الشابكة:
https://www.alaraby.co.uk/diffah/interviews/2016/11/22/

٢ من قصيدته في استقبال أديب سورية الأستاذ أمين الريحاني ومطلعها:
قفْ ناجِ أهرامَ الجلالِ ونادِ هل من بُناتِكِ مجلسٌ أو نادِ
فليُنظَر الشوقيات ١/١١٣ – ١١٦.

ينتظمها، ولا رقابة عليها، ولا عقوبات تفرض بحقِّ من يتعدَّى حدودها، أو يعبث بها، أو ينال منها. برغم كلّ حرص المجامع العربية عليها، وتوصيات الندوات والمؤتمرات بضرورة حمايتها ورعايتها والاهتمام بها.

إن كلَّ سياسة لا نفاذَ لها تبقى حبرًا على ورق، فلا ينفع قانون ليس وراءه من يتابعه وينفذه، ويعاقب من يخالفه، ورحم الله الفاروق عمر بن الخطاب حين كتب إلى أبي موسى الأشعري في رسالته المشهورة في القضاء: «فافهم إذا أُدليَ إليك، وأنفِذْ إذا تبيَّنَ لك، فإنه لا ينفع تكلمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له».[1] وفي هذا يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه كلمته الفذَّة: «إن الله ليَزَعَ بالسلطان ما لا يَزَعَ بالقرآن».[2]

ومن ثم وجب على كلّ بلد عربي ينصُّ دستوره على أن العربية هي لغة الدولة أن يضع قانونًا يحمي به هذه اللغة، ويضع رقابةً على جميع أوجه استعمالها في الكتابة والخطابة، والمحاضرة والنشر، والإعلام والإعلان، والتعلُّم والتعليم، والمراسلات والوزارات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، العامّة والخاصّة، ويفرض عقوبات على من يخالف هذا القانون أو يخترقه، أو يمسّه بسوء.

وقد بدأت بعض الدول العربية –ولله الحمد والمنة- بسنِّ هذا القانون واعتماده، كالمملكة الأردنية الهاشمية ودولة قطر، إذ نشر موقع الجزيرة في الشابكة بتاريخ ١١/٢/٢٠١٦ الموافق ٤/٥/١٤٣٧ هـ الخبر الآتي:

«وافق مجلس الوزراء القطري يوم ١٠ فبراير/ شباط ٢٠١٦م على مشروع قانون «حماية اللغة العربية»، الذي يتضمَّن من بين أحكامه أن تلتزم الوزارات والمؤسّسات الرسمية والمؤسّسات التعليمية الرسمية في جميع مراحل التعليم والبلديات باستخدام اللغة العربية في جميع ما يصدر عنها من أنظمة وتعليمات ووثائق ومعاملات ومراسلات وإعلانات، كما أنها تلزم مؤسّسات التعليم العالي التي تشرِف عليها الحكومة بالتدريس باللغة العربية في جميع العلوم والمعارف.

١ صبح الأعشى للقلقشندي ١٠/١٩٦.

٢ قوله: «يزع» أي يكفّ، يقال : وزع يزع إذا كفّ. الكامل للمبرد ١/٢١٤.

ويذكَر أن الأردن كان قد شرع هذا القانون وبدأ تطبيقه في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٥م، من أجل النهوض باللغة العربية وتحريرها من تلوُّث العامية وطغيان اللغات الأجنبية على الحديث العامّ، دون التنكُّر للحاجة إلى الانفتاح وتعلم اللغات الأخرى.»[١]

وكانت سورية سبّاقة إلى عملٍ شبيهٍ بهذا حين صدر القرار الجمهوري رقم ٤ لعام ٢٠٠٧م بتشكيل لجنة التمكين للغة العربية والمحافظة عليها والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها. وحدَّد مهمَّة اللجنة في إنجاز خطّة عمل وطنية تستهدف هذا التمكين. وذلك بإشراف نائب رئيس الجمهورية.[٢]

وكذا إمارة الشارقة حين أصدرت قرارات عام ١٩٩٩م تعزّز مكانة اللغة العربية في المؤسّسات العامة والمحلية واللافتات والإعلانات، وتمنح بلدية الشارقة وجمعية حماية اللغة العربية صلاحية التنفيذ والمتابعة.[٣]

ولعلّ العدوى تتنقل إلى كلّ الدول العربية، فيكون في كلٍّ منها قانون يحمي العربية، والمأمول أن تفعَّل هذه القوانين وتطبَّق بحذافيرها تماما، لا أن تبقى حبرًا على ورق؛ بل ينبغي أن يُحمَل الناس عليها ويُلزَمون بها كما يُلزَمون بقانون المرور والسير، وعند ذاك سيكون للعربية كيان، ويحسَب لمخالفة قواعدها وأحكامها -بله هجرها والتنكر لها- ألفُ حساب. ولسنا بدعًا في ذلك، إذ تقوم كلُّ الدول التي تحترم نفسها وتقدِّر لغتها بمثل ذلك، كفرنسة وألمانية واليابان... وهي تتَّخذ من أجل هذا سياسات لغوية صارمة ملزمة، لا تكتفي بتشريع القوانين والتعليمات؛ بل تعضدها جهات تنفيذية تراقب تطبيق تلك القوانين وتعاقب من يخالفها أو يتجاوزها.[٤]

ولله درُّ أستاذنا د. مازن المبارك إذ يقول: «لو أنصف العرب لأقاموا في عواصمهم

١ كيف تنظر إلى قانون حماية اللغة العربية. http://www.aljazeera.net

٢ التجربة السورية في التمكين للغة العربية. بحث لمحمود السيد، نشِر في سجل المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ٥٩٠/٤. عام ٢٠١٥م دبي.

٣ خواطر مضيئة، لمازن المبارك ١٠٧.

٤ العرب والخيار اللغوي ٩٢ – ٩٤.

محاكمَ لكلّ من يفرّط بلغتنا؛ لأن التفريط باللغة تفريطٌ بكرامة الناطقين بها، ولأن التفريط باللغة لا يقلُّ جرمًا عن التفريط بالأرض وبتراب الوطن؛ إن لم يكن أكبر مسؤولية وجرمًا، لأن الأرض إذا استُلبت يمكن أن تُستعاد وأن تُستردَّ، وأما اللغة فإنها إذا ضاعت فهيهات أن تعود، ولأنها إذا ضاعت ضاعت الأمة معها».[1]

٣: إعادة التعريب (للوزارات والمصارف والجامعات والمؤسسات)

تعاني مؤسساتنا العربية على اختلاف أشكالها وأنواعها من تغريب عجيب، إذ تطغى اللغة الأجنبية –والإنجليزية خصوصا- على معظم النشاطات من اجتماعات ونشرات ومراسلات وإعلانات وتعميمات...

ومما يحزُّ في النفس أنه قلّما تدعو ضرورةٌ لهذا الإحلال والاستحلال، فليس في حاضري هذه النشاطات أو الاجتماعات إنجليزي واحد، وليس فيمن توجَّه إليه الكتب والتعاميم والمراسلات أحدٌ ممن يجهل العربية، وهبْ أن فيهم أحدًا غير عربي، أفيُلوَى لسانُ الجميع لأجله! أم يُهجر اللسان العربي إكرامًا له! أو يجامَل على حساب لغتنا وأصالتنا وهويتنا ولساننا!

دعتني مؤخّرًا جامعة عربية لإلقاء محاضرة في احتفالها باليوم العالمي للغة العربية (٢٠١٦/١٢/١٨م) وكم كان عجبي -وصدمتي- عندما وردتني الدعوة باللغة الإنجليزية! وحين أبديت إنكاري لهذا، تعلَّل القائمون على الأمر بأن كلّ مراسلات الجامعة وتعميماتها وإعلاناتها تصدر بالإنجليزية؛ لأن التعليم فيها باللغة الإنجليزية.

فقلت في نفسي: أليس في القائمين على جامعاتنا ومؤسساتنا رجلٌ رشيد! أليس فيها من يستشعر أهمية الحفاظ على العربية! أليس فيها من يحمل الأمانة ويتحمَّل المسؤولية! ألا يكفي أننا تهاونَّا في جعلها لغة التعليم؟ أنكمل تهاوننا فننسلخ عنها كليًّا! إن هذا لعمري قصور وتقصير، بل هو جناية على لغة القرآن ينبغي أن يحاسَب عليها جانيها في الدنيا قبل الآخرة.

---

١ خواطر مضيئة، ١٥.

إننا بحاجة ماسَّة اليوم لإعادة النظر في تعريب كلّ مؤسساتنا، وإلزامها باعتماد العربية أساسًا في المراسلات والمكاتبات والإعلانات والتعميمات، وكذا في الاجتماعات الرسمية وغير الرسمية.

ومن تنكّب عن ذلك فهو مقصر بحق لغته، مفرِّط بواجباته تجاهها.[١]

٤: إصلاح لغة الإعلام والإعلان وما شاكلها

وإنما خصّصت لغة الإعلام وإن كانت تندرج تحت ما سبق لأهميتها وخصوصيتها، من قبيل ذكر الخاصّ بعد العام.

لقد قارب الإعلام اليوم بعد ثورة الاتصالات المذهلة أن يحلَّ محلَّ البيت والمدرسة في التلقين والتعليم والتوجيه، وأصبحت القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي أهمّ المؤسسات التثقيفية والترفيهية؛ بل لقد غدت مصدر خطر على الكتاب في أوساط المتعلمين، وتعهّدتهم إلى من لا يحسنون القراءة والكتابة في أوساط الأميّين. ولاشكّ أن اللغة من أكثر الظواهر الاجتماعية تأثُّرا بهذا الإعلام، فهو يصوغها كما يشاء، ولو أنَّا أحسنَّا الإفادة من شيوع وسائل الإعلام ووسائل التواصل وقوَّة أثرها وفعاليته، وسطوة لغتها على كلّ شرائح المجتمع؛ لبلغنا في إعلامنا قدرًا كبيرًا مما نطمح إلى تحقيقه على الصعيد اللغوي والثقافي.

والحقُّ أن واقع العربية في إعلامنا واقع مرير، ينذر بنتائج خطيرة تهدِّد أمننا اللغوي، فوسائل الإعلام المختلفة تسيء إلى لغتنا أكثر مما تحسن –مع أنها تملك الإحسان– ولسنا مبالغين إن زعمنا أن كثيرًا من منابرنا الإعلامية غدا معولا لهدم العربية، وأداةً لتخريب اللغة. ويستطيع المتتبّع للغة الإعلام في قنواتنا المرئية والمسموعة أن يلمح ثلاث ظواهر سلبية في هذه اللغة هي:

١. شيوع العامية في كثير من البرامج.

٢. كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية في العربية الفصحى التي تستخدَم

١ ملامح من بيان العربية وجمالها، ١٣٧.

في بعض البرامج.

٣. فشوّ المفردات الأجنبية في ثنايا الخطاب الموجّه إلى المتلقّي العربي؛ بل لقد غدت هذه المفردات عناوين لبرامج مشهورة وأسماء لمحطات واسعة الانتشار في دنيا العرب.

فهل من سبيل لإصلاح لغة الإعلام والارتقاء بها؟

سأحاول فيما يأتي أن أقترح خطةً ذات شعبتين، تخصُّ الأولى سبل النهوض بلغة وسائل الإعلام، وتخصُّ الثانية سبل خدمة هذه الوسائل للعربية.

٤: ١: سبل النهوض بلغة وسائل الإعلام

١- انتقاء المذيعين ومقدّمي البرامج: يجب أن يشترَط فيمن يُرشَّح للعمل مذيعًا أو مقدِّما، أن يكون حاصلا على الإجازة في اللغة العربية وآدابها بدرجة جيدة على الأقل، فضلا عن حصوله على الإجازة في الإعلام. وأن يخوض مسابقة يُنتقَى من خلالها الأكفأ لغويًّا.

٢- أن يخضع المذيعون والمقدِّمون لدورات لغوية تأهيلية، يجري فيها التركيز على المهارات الآتية:

أ- النحو الإعلامي الوظيفي: ويندرج تحته كلُّ ما يعين على إقامة اللسان من بحوث النحو، ولاسيما علامات الإعراب الفرعية (كرفع المثنى بالألف ونصبه وجره بالياء...).

ب- الإلقاء والأداء: ويندرج تحته كلُّ ما يسهم في تحسين الإلقاء وتجويده، من معرفة مخارج الأصوات وصفاتها،و مواضع الوقف والوصل والفصل، وما أشبه ذلك من نبر وتنغيم.

ج- الأخطاء الشائعة: وهي تلك المفردات والتعبيرات التي تخالف النظام اللغوي العربي نحوًا أو صرفًا أو إملاءً أو لغةً أو تركيبًا، وقد انتشرت على ألسنة

الناس وحلَّت محلَّ الصواب، ورسَّخها عند الكثيرين المقولة الفاسدة: خطأ شائع خير من صواب ضائع. وقد تصدّى لهذه الظاهرة كثير من اللغويين، كالعدناني في معجم الأخطاء الشائعة، والزعبلاوي في معجم أخطاء الكتّاب، ولعلَّ من أهم ما صدر في هذا المجال كتاب «أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين» للدكتور أحمد مختار عمر؛ لأن له عناية خاصّة بأخطاء المذيعين.

٣- تطوير الإمكانات اللغوية باستمرار:

وذلك بعقد دورات تقوية دورية، يتّبعها المذيع والمقدِّم كلَّ مدَّة، ليجدِّد اطلاعه اللغوي، وينمِّي مهاراته الأدائية، ويكتسب المزيد في مجال التذوُّق الأدبي والمعرفة اللغوية.

٤- الرقابة اللغوية المستمرة:

لابدَّ من وجود رقابة لغوية دقيقة وصارمة على ما يبثُّ من برامج، لاسيما تلك التي تُعنى بالثقافة والأخبار والأدب والدين، وقد ثبت أن الإذاعات والقنوات التي تُعنى بهذه الرقابة هي الأرقى لغويًّا، والأعظم انتشارًا، والأبعد عن الوقوع في الغثاثة والتفاهة.

٤: ٢: سبل خدمة هذه الوسائل للعربية

ثمّة سبل كثيرة تستطيع وسائل الإعلام أن تخدم من خلالها اللغة العربية، والحقُّ أن أوَّل هذه السبل وأهمها صلاح لغة الإعلام وخلوّها من الخلل اللغوي؛ إذ بصلاحها صلاح ألسنة الأمة وبفسادها فساد ألسنة الأمة.

ومما يمكن أن يسهم في صلاح هذه اللغة من جهة، وفي خدمتها من جانب آخر الأمور الآتية:

١. اعتماد لغة إعلامية فصيحة تتوفَّر فيها: السلامة، والسهولة، والوضوح، والدِّقة. ويُستكثر فيها من العامي الفصيح، ويُجتنب الغريب والحوشي والمتقعِّر.

٢. الإكثار من المسلسلات التي تعتمد العربية الفصيحة لغةً للحوار فيها، وقد ثبت نجاح الكثير منه شعبيًّا وجماهيريًّا، حتى تلك التي تُرجمت إلى العربية من لغات أخرى.

٣. إعداد برامج لتحبيب العربية ونشر لطائفها الأدبية، وقد أثبتت هذه البرامج فاعليتها، وكان لها أعظم الأثر في نفوس الناس ولغتهم (برنامج قول على قول للكرمي، وأبجد هوز للمالح).

٤. التعاون مع مجامع اللغة العربية وأقسام اللغة العربية في الجامعات واتحادات الكتاب وما شاكلها من المؤسّسات اللغوية والأدبية على إنتاج برامج مشتركة تعمل على إحياء اللغة ونشرها وتعليمها وتذوُّقها ورفع رايتها.

٥. الإفادة من تقنيات الحاسوب والشابكة (الإنترنت) في إعداد برامج تعليمية تسهِّل معرفة علوم العربية، كالمعجم الحاسوبي، وتعلُّم النحو بالحاسوب، وكذا العروض.. وغير ذلك من علوم العربية.

٦. تخصيص برامج لإكساب الأطفال اللغة الفطرية السليمة.

ولقد أثبت البرنامج التلفازي المشهور (افتح يا سمسم) صدق هذه المقولة؛ إذ كان له الأثر الناجع في لسان الأطفال، فالتفوا حوله على اختلاف لهجاتهم وأقطارهم ومنازعهم ومشاربهم ليفهموا أوَّلا ً كلَّ كلمة فيه؛ لأنه استعمل العربية الفصيحة المألوفة المأنوسة، وليحاكوا ثانيًا أسلوبه في استعمال هذه اللغة، مما مهَّد لظهور الكثير من أفلام الأطفال المتحدِّثة بالعربية، وهو أمر دفع إليه رغبةُ المنتج في بيع هذه الأفلام وتسويقها في كلِّ أرجاء الوطن العربي الكبير، فكانت العربية خير ملاذٍ يُلجأ إليه؛ إذ بها يستطيع أن يدخل كلَّ بيت عربي على امتداد الوطن العربية الكبير، فإذا كان الدافع الرغبة في الربح والتجارة فلِمَ لا يكون أيضًا الرغبة في نشر العربية السليمة في كل صقع عربي؟ بل لم لا يجتمع الأمران فنخضِع هذه البرامج لرقابة لغوية تنفي عنها آثار الركاكة والخطأ الشائع واللحن وما إلى ذلك مما يضير بالعربية وفصاحتها، وتكسوها ثوبًا قشيبًا من الفصاحة والبلاغة والبيان.

إن مثل هذا العمل العظيم واجب ديني وقومي ووطني، ينبغي أن يحظى بالقرار السياسي الحكيم الذي يفرض هذه الرقابة اللغوية على كلِّ ما تنتجه وسائل الإعلام ليصل نتاجها إلى أبناء العربية بريئًا من كل ما يشوب اللغة من أوضار العجمة واللهجات المحكية واللحن...

٥: الارتقاء بتعليم العربية

يدرس كثير من الطلبة العرب لغتهم نحوًا من ثنتي عشرة سنة، ثم لا يستقيم لسان أحدهم بقراءة عبارة، أو تركيب جملة، أو كتابة فقرة، وإذا حاول ذلك وجدت اللحن في قراءته، والخطأ في حديثه، والغلط في كتابته.

ولا ريب أن وراء هذه النتيجة خللًا في بنية العملية التعليمية، من حيث المناهج المقرَّرة، والقائمون عليها تعليمًا وتطبيقًا، ونمط التعليم.

لذا لا بدَّ من إعادة النظر في هذه العملية، ولا بدَّ من بنائها على أسس قد تبدو أكثر نجاعةً وأعظم جدوى.

وقد كتبتُ من أجل ذلك بحثًا بعنوان: «سبل النهوض بتدريس العربية تجارب.. ومقترحات». نشرته مجلة المجمع (تصدر عن المجمع العلمي اللغوي اليمني) العدد الأول – يونيو-يوليو-أغسطس ٢٠١٥م.

حاولت أن أرصد فيه كلَّ ما يمكن أن يُسهم في إصلاح عملية تعليم العربية، بدءًا من مدرِّسها، ومرورًا بطرائق تدريسها، وانتهاءً بمناهجها ومحتوياتها. وذلك على شكل مقترحات. وهي مقترحات مجرَّبة، تمخَّضت عن تجربة؛ بل عن تجارب كثيرة عشت فيها وعايشتها مذ كنت في السادسة من عمري إلى أن ذرَّفتُ على الستين...

وفيما يأتي نبذة عنها:

أولًا: إعداد المعلم الإعداد السليم المناسب

وهذه أهم مقومات الإعداد:[1]

أ - التمكُّن من العربية نطقا وفهما وكتابة وخطًّا.

ب - إتقان القرآن الكريم.

ج - التدريب المستمر.

د – الكفاية والاستغناء.

ثانيًا: المحبة

أعني حبَّ المعلم لطلبته وحبَّ الطلبة للمعلم، فهو السبيل الأقصر إلى علمه وفضله، وكلّما كانت هذه المحبة عامرة كان الانتفاع بالمعلم أكثر؛ لأن الطالب مولع بمحاكاة من يحبُّ، فإذا أحبَّ مدرسه حاكاه، وإذا حاكاه حاول أن يبلغ شأوه، وينال علمه، ومن ثمَّ كانت المحبة أيسر السبل إلى علم المعلم.

ولا ريب أن المحبة تحتاج إلى عطاء وبذل وزرع وحرث، وهي جماع أمور ما اتصف بها أحد إلا نالها، وفيما يأتي بيانها:

أ. لين الكلمة وطلاقة الوجه.

ب. لين الجانب والتواضع والإنسانية.

ج. التشجيع.

د. براعة الاستهلال.

هـ. الإتحاف والإطراف والتفنن في العطاء.

و. الالتزام بالوقت.

ز. حسن السمت والهيئة.

ح. المشاركة والتفاعل.

١ فليُنظَر اللغة والمتغير الثقافي: الواقع والمستقبل، لعبد الله التطاوي ٤٦-٤٩.

ثالثًا: السماع

وأعني به أن يسمع الطالب لغته صافية مشرقة نديَّةً لا لحن فيها ولا خطأ، على نحو ما كان يسمعها الغلمان العرب؛ إذ كانوا يرسَلون إلى البوادي ليخالطوا أهل الوبر الذين لم يتطرَّق اللحن إلى ألسنتهم، ولم يعرف الخطأ طريقه إليهم، فينشأ الناشئ بينهم على الفصاحة والبلاغة وسلامة السليقة.

وهذا ما بيَّنه عالمنا الفذّ ابن خلدون حين أكَّد أن السمع أحد الأسس لتعلُّم اللغات؛ إذ عن طريقه ينغرس الحسّ اللغوي السليم ليصبح ملكةً طبيعية في الإنسان: «وهذه الملكة إنما تحصلُ بممارسة كلام العرب وتكرُّره على السمع والتفطُّن لخواصّ تراكيبه، وليست تحصُل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علمًا بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها».[1]

رابعًا: الحفظ

يقرِّر ابن خلدون في مقدمته أنه لا بدَّ من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرته من قلته، تكون جودة الملَكة الحاصلة عنه للحافظ.

بل إن ابن خلدون يربط بين اكتساب ملكَة اللسان العربي وبين حفظ كلام العرب في مقدِّمته حيث يقول: «وتعلم مما قرَّرنا في هذا الباب أن حصول ملكَة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنزَّل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكَة المستقرَّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».[2]

والحقُّ أن اللغة إنما تكتَسب بكثرة الاطلاع على نصوصها، ووفرة المحفوظ من

١ مقدمة ابن خلدون ١٢٨٩/٣ – ١٢٩٠.

٢ المصدر السابق ١٢٨٩/٣ – ١٢٩٠.

هذه النصوص بدءًا من القرآن الكريم، ومرورًا بكلام العرب في شعرهم ونثرهم وخطبهم وأمثالهم وأخبارهم، وما أفلح من أفلح ممن تمكَّن من ناحية هذه اللغة فأسلست له قيادها إلا بمثل هذا، وهاكم الأمثلة من كتّابنا وأدبائنا وأعلامنا العظام مثل حنا مينة وبطرس البستاني ومكرم عبيد وطه حسين ومحمود شاكر والطنطاوي وغيرهم.

خامسًا: الاقتصار على النحو الوظيفي

النحو الوظيفي: مجموعة القواعد التي تؤدِّي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق والقراءة، ويسلمَ القلم من الخطأ في التأليف والكتابة.

والنحو التخصّصي هو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشبعة، والبحوث الدقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة.

وما أحوجنا اليوم إلى هذا النحو الوظيفي الذي ينأى عن كلِّ ما لا يفيد في تقويم اللسان والقلم.

سادسًا: الإكثار من التطبيق النحوي

أعني عرض قواعد النحو من خلال نصوص القرآن والحديث والشعر الجميل والخبر الممتع، وقد فرّقت في مقال لي بين ما أسميته: «نحوُ الصنعة.. ونحوُ الطبع».[1]

أما نحو الصنعة فهو ذلك النحو الذي يصطنع أمثلة لقواعد لا حياة فيها، ولا نبض في عروقها، كضرب زيدٌ عمرًا، و كلّمَ سعيد بشرًا .

و أما نحو الطبع فهو الذي يمثّل بالشواهد، ويحتج بالنصوص القرآنية والشعرية والنثرية التي تنبض بالحياة.. وتشع فصاحةً وبيانًا.

سابعًا: مزج النحو بالأدب

إن مزج النحو بالأدب يجعله أطيب طعمًا، وأقرب فهمًا، وأسلس انقيادًا،

١ العربية وطرائق اكتسابها ٩٩ – ١٠١.

وأرجى قبولًا، وذلك على نحو ما صنع كثير من علمائنا كابن جني في الخصائص وسرّ الصناعة، والبغدادي في الخزانة وشرح شواهد المغني. وفي هذين الكتابين علم غزير، وأدب رفيع، وفوائد لا تحصى، وهما ضروريان لكلّ مَن علم النحو أو درّسه؛ لأنهما يفتحان آفاقه على عالم الأدب والشعر واللغة والأخبار، فيغدو النحو معهما سلسًا ميسورًا مفهومًا.

ثامنًا: الإفادة من تقنيات الحاسوب

لا بدَّ أن يفيد المعلم في تعليمه العربية من تقنيات الحاسوب، ومحتويات الشابكة بمواقعها المختلفة، والمكتبة الرقمية، والبرامج والأنظمة المعدَّة لهذا.

تاسعًا: عرض روائع العربية

من بيان ساحر... وإيجاز باهر... وثراء نادر...

عاشرًا: التفنن في تدريس علوم اللغة

لكل علم من علوم اللغة أفانين يمكن للمعلم أن يصطنعها ويتوسل بها إلى عقول الطلبة ومداركهم، ومن المفيد أن ينوع المعلم في طرائقه بحيث لا يتوقع الطالب ما سيعرض عليه في درسه المقبل[1].

٦: الإفادة من الصلة الوشيجة بين القرآن والعربية، ونشرها في أوسع نطاق ممكن

القرآن مفتاح العربية، فبه عُرفتْ، وبه انتشرتْ، وبدِيمتِهِ اهتزَّتْ وربَتْ، ولخدمتِهِ أينعتْ وأثمرتْ، من أجله نشأت علومها، وتنوعت فنونها، وباصطفائه لها شرُفت ونبَّهت وانتقلت من المحلية إلى العالمية، ومن القبلية إلى الأممية، فغدت لغة الأمة الإسلامية.

ومن ثم كان الارتباط وثيقًا بين العربية والقرآن، وكان هذا الارتباط من أهم عوامل تقوية اللغة[2] وترسيخها واستمرارها.

١ فليُنظَر مجلة المجمع (تصدر عن المجمع العلمي اللغوي اليمني) العدد الأول – يونيو-يوليو-أغسطس ٢٠١٥.
٢ مستقبل اللغة العربية ص٣١.

ولا ريب أن العناية بالقرآن تعلُّمًا وتعليما، وتجويدًا وترتيلا، وحفظًا وتفسيرا، لا تكاد تعدلها عناية في كل بلاد العرب والمسلمين، فإذا أحسنّا الإفادة من هذه العناية وربطناها بتعلم العربية وإتقانها كان لنا من ذلك خير كثير من وجوه عدة أهمها:

أ. إتقان أصوات العربية وإحسان تجويد النطق بها بإحسان تجويد القرآن وترتيله.

ب. اكتساب الملكة اللغوية والسليقة السليمة التي تجعل صاحبها فصيحًا بعيدًا عن اللحن في النطق والكتابة.

ج. إثراء الرصيد اللغوي – مفرداتٍ وتراكيبَ - بحفظ أجزاء من القرآن الكريم، وكلما زاد الحفظ عظم الرصيد واتسعت معرفة القارئ بالمعجم القرآني ومعاني مفرداته.

د. اكتساب قوة التعبير وجزالته بكثرة تلاوة القرآن الكريم، لأن النظم القرآني يسمو ببيان المرء وتعبيره نطقًا وكتابةً.

هـ. الإلمام بعلم النحو والإعراب – أو ما أدعوه بالنحو القرآني – وذلك بالتمرّس بأساليب النحو في القرآن لدى القراءة والوقوف على علَّة الحركات رفعًا ونصبًا وجرًا وجزمًا، ولابّد لكلّ ذلك من أن يكون المقرئ متمكنًا من علم النحو والإعراب فيفيد منه الطلبة أيما فائدة.

و. تذوق بلاغة العربية بفنونها المختلفة، إذ لا تكاد تخلو آية في القرآن الكريم من فن بلاغي أو أكثر، وكلَّما ربط المقرئ لطلابه بين ما تحويه هذه الآيات من فنون بلاغية وبين ما جاء في كتب البلاغة من إيضاح واستشهاد وتمثيل ترقَّى القَرَأَة في مدارج البلاغة.

ز. إغناء لغة القارئ باطِّلاعه على تفسير الآيات، وتبصُّره بتأويلها، ووقوفه على معانيها ومراميها.

٧: إنشاء مؤسسات تُعنى بالعربية وتقترح مشاريع علمية تخدمها

شهد تاريخ العربية عناية بالغة بها وبعلومها وآدابها، وكان لهذه العناية أكبر الأثر في قوة العربية وانتشارها وتمكُّن أهلها منها. ثم غبر على الناس زمان خبا فيه هذا الاهتمام وذَوَت تلك العناية خلال ما سمي بعصور الانحطاط أو الانحدار، إلى أن جاء العصر الحديث الذي شهد نهضة لغوية وأدبية في مطلع القرن العشرين تبدَّت في إنشاء المجامع اللغوية في بلاد الشام ومصر ثم في العراق، وفي حركة التعريب ثم الترجمة ثم في تعليم العلوم باللغة العربية في سورية خصوصا، وفي ظهور شعراء وكتَّاب أعادوا للعربية رُواءَها وصفاءَها ورونقَها وبلاغتها، ونفحوها بروح جديدة غمرتها نضارةً وحيويةً.

ونحن اليوم بحاجة ماسَّة لمثل هذه العناية بكلّ علوم العربية وآدابها، كما أننا بحاجة لتطوير طرائق تعليمها، واستخدام تقنيات الحاسوب في ذلك، كما تقدَّم.

وقد شهد عصرنا الحاضر قيام مجامع لغوية في بعض الأقطار العربية كالسودان وليبية والجزائر وفلسطين، وقيام مؤسسات علمية تُعنى بالعربية، كمكتب تنسيق التعريب في المغرب، ومكتب التعريب في دمشق، ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بالرياض، والمنظمة العالمية للنهوض باللغة العربية في قطر، وجمعية حماية اللغة العربية في الشارقة، ومجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مكة المكرمة... وغيرها.

كما شهد عصرنا قيام بعض المشاريع العلمية الكبيرة التي تشدُّ من أزر العربية وترفع من شأنها وتسهم في خدمتها، كأنظمة معالجة العربية وإحصاء جذورها وأفعالها بالحاسوب، والنظام الصرفي للغة العربية اشتقاقًا وتحليلا في مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق، ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية في قطر...وغيرها.

إن النهوض بالعربية وتحقيق الأمن اللغوي يحتاج إلى تكثيف الجهود على كلّ المستويات العامة والخاصة، الحكومية والأهلية، ويتطلب أن يشارك الجميع أفرادا وجماعاتٍ في دعم اللغة العربية وخدمتها، وإنشاء المزيد من المؤسسات الرسمية

والمدنية التي تجعل العربية محورًا لها، وفيما يأتي بعض المقترحات التي تحقّق ذلك:

أ. إنشاء مجمع للغة العربية في كلّ بلد عربي لم ينشأ فيه مجمع، بل في كل بلد إسلامي.

ب. إنشاء جمعيات مدنية لحماية اللغة العربية في كل البلاد العربية والإسلامية.

ج. دعم المحتوى العربي على الشابكة.

د. تكثيف الجهود الفردية والجماعية للقيام بمشروعات تخدم العربية في صناعة المعجم العربي رقميًّا وورقيًّا.

ه. دعم مشاريع المعالجة الحاسوبية للغة العربية بكل أشكالها وتطبيقاتها، وذلك بإحياء ما مات منها وإنشاء المزيد من مؤسَّساتها وفعالياتها.

و. إعداد فهرس خاص -ورقيًّا ورقميًّا- لمخطوطات علوم العربية في مكتبات العالم تيسيرًا لتحقيقها ودراستها ووضعها بين أيدي الباحثين.

٨: جعل إتقان اللغة العربية مطلبًا أساسيا للالتحاق بالجامعات، وبالدراسات العليا (توفل عربي على غرار توفل اللغة الإنجليزية)

اللغة وسيلة المعرفة، ووعاء الفكر، وأداة التواصل. ولا سبيل إلى معرفة صحيحة، أو تعليم صحيح، أو فكر سديد، أو تواصل سهل مفهوم إلا بامتلاك القدرة اللغوية.

و«إذا دب خلل في اللغة دبّ خلل في التفكير» كما يقول زكي نجيب محمود[١]. فبقدر ما تكون اللغة سليمة يكون الفكر دقيقا، وتكون المعرفة على اختلاف أصنافها وأنواعها صحيحة، ومن ثم يكون التواصل ميسورًا.

ومن هنا كان أمر العناية باللغة التي تكتسب بها المعرفة حتما لازما، وكان أي تقصير في هذه العناية منعكسا على المادة العلمية التي يحصّلها الطالب أو الباحث.

١ العربية وطرائق اكتسابها ص ١١.

ولما كانت العربية لغة كثير من التخصصات في المرحلة الجامعية، وجب على كلّ طالب جامعي أن يمتلك الحدّ المناسب من المعرفة اللغوية، نعني الحدّ الذي يمكنه من القراءة والفهم والكتابة والتعبير والتواصل، تعزيزًا لقدراته وتمكينًا له من التحصيل العلمي والأكاديمي.

من أجل ذلك كلِّه كان لا بدَّ من **امتحان يقيس مقدرة الطالب في اللغة العربية**، ويحدِّد إمكاناته، قراءة وفهمًا وسماعًا وتعبيرًا باللسان والقلم، تبعًا للمستوى المطلوب منه، ولا يحقُّ لأي طالب أن يلتحق بالجامعة أو بالدراسات العليا مالم ينجح في المستوى المطلوب من هذا الامتحان. وفيما يأتي تصوُّر مقترَح لهذا الامتحان:

تعريفه

الامتحان الحاسوبي لقدرات اللغة العربية امتحان يقيس قدرات اللغة العربية للطالب المتقدِّم للدراسة الجامعية أو للدراسات العليا في الجامعة، أو في غيرها من المؤسَّسات التي تطلبه، ويستخدَم للقبول في الجامعات العربية، وبرامج اللغة العربية في الجامعات الأجنبية، والمؤسَّسات الأخرى الراغبة فيه.

والامتحان مصمَّم على الشابكة (الإنترنت)؛ لإتاحة الفرصة لأكبر عدد من الطلبة لقياس قدراتهم اللغوية.

أهدافه

تعزيز مكانة اللغة العربية محليًّا وعالميًّا.

قياس مهارات الطلبة في اللغة العربية وتصنيفهم حسب قدراتهم اللغوية.

الارتقاء بطلبة الدراسات العليا ونتاجهم العلمي.

القدرة على كتابة الأطروحة والبحوث العلمية بلغة سليمة.

القدرة على التواصل اللغوي بمستوياته المختلفة.

المستويات والشرائح المستهدَفة

ثمَّة ثلاثة مستويات لهذا الامتحان، تختلف باختلاف الفئة المستهدَفة في كلٍّ منها، وفيما يأتي بيانها:

المستوى الأول: وهو أدنى المستويات، ويستهدف: الناطقين بغير العربية، ومَن على شاكلتهم ممن لم تكن العربية لغة تعليمه، ومن يرغب فيه من الأفراد والمؤسَّسات. وهو يختبر الحدَّ الأدنى المطلوب من المهارات اللغوية التي تمكِّن الطالب من القراءة، والفهم والاستيعاب، والتعبير الكتابي والشفوي.

المستوى الثاني: وهو أوسط المستويات، ويستهدف: الطلاب الراغبين في التسجيل في أي تخصُّص جامعي-عدا تخصصي اللغة العربية والشريعة- ومن يرغب فيه من الأفراد والمؤسسات. وهو يختبر الحدَّ المطلوب من المهارات اللغوية التي تمكِّن الطالب من القراءة، والفهم والاستيعاب، والتعبير الكتابي والشفوي.

المستوى الثالث: وهو أعلى المستويات، ويستهدف الطلاب الراغبين في التسجيل في تخصص اللغة العربية أو الشريعة، أو من على شاكلتهم ممّن يحتاج إلى أعلى المستويات اللغوية كالإعلاميين والحقوقيين. وهو يختبر الحدَّ الأعلى المطلوب من المهارات اللغوية التي تمكِّن الطالب من قراءة النصوص الشرعية أو الأدبية، أو القانونية، وفهمها واستيعابها وتذوُّقها، والتعبير الكتابي والشفوي بكفاية وبيان.

محاور الامتحان

يتكوَّن هذا الامتحان بمستوياته الثلاثة من خمسة أجزاء تختبر مقدرة الطالب في المهارات اللغوية الأساسية، وهي: فهم النصوص المكتوبة، وإدراك البنية اللغوية والتعبيرات الكتابية، وفهم الكلام المسموع، والقدرة على التعبير الكتابي، والقدرة على التعبير الشفوي.

والمأمول ألا يقتصر هذا الامتحان على الراغبين في دخول الجامعة، بل يعمَّم في خطوة تالية على كلِّ مؤسسات الدولة، فيكون شرطًا من شروط التوظيف والعمل

فيها، وبذلك تعزَّز مكانة اللغة، ويحسَب لها ما ينبغي من الحساب مع تنشئة الأبناء، ومع تطلُّعهم للانخراط في سوق العمل، كما هو الشأن مع اللغة الإنجليزية، والعربية بلا ريب أحقُّ بهذا وأجدر.

خاتمة

حاولت في هذا البحث أن أشير إلى جملة من المقترحات التي تسهم في تحقيق الأمن اللغوي، ولا أزعم أنها كافية أو وافية؛ بل أزعم أنها محاولة جادَّة في هذه السبيل أرجو أن تتبعها محاولات، ومشاركة أرجو أن تُشفع بمشاركات، وصولًا إلى الحلول المثلى لإعادة العربية إلى مكانتها التي تستحقُّ، إذ لا بدَّ من تضافر جهود الباحثين والغيورين على هذه اللغة للوصول إلى الغاية المرجوة، ولا بدَّ لي أن أبيّن أن هذه المقترحات ليست الأولى من نوعها، قد سبقت بمقترحات وستتلوها أيضا بلا ريب مقترحات، ويقيني أنها ستكون هباءً إن لم يُقَيَّض لها مَن يحيلها من الهمّ إلى الفعل، ومن الورق إلى العمل، لأن العجز كل العجز في أن نهمَّ ولا نفعلَ كما قال الحارث بن حِلِّزة اليشكري:

إنما العجزُ أن تهمَّ ولا تفعـ ـعلَ والهمُّ ناشِبٌ في الضميرِ

ولا ريب أن المثل مرهونٌ بمن يملك التنفيذ، ويملك حمل الناس عليه، وهم أولو الأمر وأصحاب القرار، وقد أدرك ذلك تمام الإدراك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كتب إلى أبي موسى الأشعري: «خذ الناس بالعربية فإنها تزيد في العقل وتُثبت المُروءة».[١]

والله من وراء القصد، وله الحمد في الأولى والآخرة.

١ روائع وبدائع، لمحمد حسان الطيان ١٣٩.

قائمة المصادر والمراجع

- **أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين**، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠١م.
- **التجربة السورية في التمكين للغة العربية**، لمحمود السيد، بحث نشر في سجل المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي، ٢٠١٥م.
- **تحت راية العربية**، لمحمد حسان الطيان، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.
- **خواطر مضيئة**، لمازن المبارك، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٨م.
- **روائع وبدائع**، لمحمد حسان الطيان، مبرة الآل والأصحاب، الكويت ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية بيروت مصورة عن ط. دار الكتب المصرية.
- **العرب والخيار اللغوي**، لأحمد ضبيب، نادي القصيم الأدبي في بريدة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- **في سبيل العربية**، لهيثم الخياط، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٩٧م.
- **الكامل في اللغة والأدب**، لمحمد بن يزيد المبرد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- **مقدمة ابن خلدون**، ت علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط٣.
- **ملامح من بيان العربية وجمالها**، لمحمد حسان الطيان، إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف، الكويت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **الهوية العربية والأمن اللغوي: دراسة وتوثيق**، لعبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط١، ٢٠١٤م.
- **وحي القلم**، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.